

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤٥ / ١٩٩٩

الأحد ٧ تشرين الثاني

ذكار القديسين الشهداء الثلاثة

و الثلاثين المستشهدين في ملطاً

وأبينا البار لعازر العجائبي

اللحن السادس

إنجيل السحر الأول

الرسالة (أفسس ٢ : ٤-١٠)

الإنجيل (لوقا ٨ : ٤١ - ٥٦)

+ رؤساء الملائكة

تعيّد الكنيسة المقدسة في الثامن من تشرين الثاني لرؤساء الملائكة ميخائيل وجبرائيل وروفائيل وسائر رؤساء الملائكة.

كلمة ملاك باليونانية والعبرية تعني رسول، مُرسل، مُبشّر، مُنذر: "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلّة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبر ١: ١٤). وتظهر وظيفة الملائكة من خلال اسمهم إذ ان مهمتهم نقل إرادة الله الى البشر، ويُسمح لهم بأن يظهروا بشكل أجسام بشرية كما حصل مع إبراهيم عندما بشرّوه بولادة ابنه اسحق (تك ١٨ : ١-٢٢). أما عدد الملائكة فلا يُحصى. الكتاب المقدس يتحدث عن جيش ملائكة (تك ٣٢ : ١-٢)

وربوات وملايين (دانيال ٧: ١٠، عبر ١٢: ٢٢، رؤ ٥: ١١)، ويمكن تقسيم الملائكة الى تسع طغمات بحسب قربها من الله: السيرافيم والشاروبيم والعروش، السیادات والقوات والسلاطين، والرئاسات ورؤساء الملائكة (كو ١: ١٦، أف ١: ٢١ بط ٣: ٢٢، اش ٦: ٢).

يورد الكتاب المقدس أسماء سبعة أو ثمانية من رؤساء الأجناد السماويين:

+ ميخائيل: ويعني اسمه "مَنْ مِثْلَ اللَّهِ؟" أو "مَنْ يَعَادِلُ اللَّهِ؟" تصوّره الكنيسة حاملاً في يمينه رمحاً يحارب به لوسيفوروس (رئيس الشياطين) وفي يساره غصن نخيل، وفوق الرمح ضفيرة وصليب أحمر. هو من يرسله الله لإعلان مراسم عدله. صورة ميخائيل المحارب نجدها في سفر الرؤيا حيث الحديث عن نهاية الأزمنة: "وحدثت حرب في السماء." ميخائيل وملائكته حاربوا التنين" (رؤ ١٢: ٧)، والحديث عن نهاية الأزمنة سبق وتحدث عنه دانيال النبي في العهد القديم: " في ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك..." (د ١: ٢١).

ظهورات الملاك ميخائيل في الكتاب المقدس كثيرة. يُظن أنه هو الذي ظهر لإبراهيم ومنعه من ذبح ابنه اسحق (تك ٢٢)، وهو الذي سار أمام الشعب العبراني عند خروجه من مصر، وهو الذي سد أفواه الأسد حين ألقى دانيال في الجب (دا ٦: ٢٢) وهو من نجّى الرسل من السجن (أع ٥: ١٩). وفي الأخير هو من سيدعو الموتى للقيامة (١ تس ٤: ١٦).

+ جبرائيل: إسم عبري معناه أظهر الله ذاته جباراً، جبرؤوت الله، يُذكر اسمه عادة مع ميخائيل، إلا ان مهمته إعلان رافة الله. مهمته إعلان محبة الله وحرصه على خلاصهم. أرسله الله ليفهم دانيال الرؤيا التي رآها عن المنتهى (دا ٨: ١٦-٢٧) وليعطيه نبوءة السبعين أسبوعاً (دا ٩: ٢١-٢٧). تصوّره التراث حاملاً بيمينه فانوساً ذا شمعة مضاءة وفي يسراه مرآة من اليشب (حجر كريم) الأخضر. تشير الشمعة الى النبأ السار والمرآة الى حكمة الله والأسرار الخفية. فقد أرسل جبرائيل ليبشّر زكريا بولادة يوحنا المعمدان، والعدراء بولادة المسيح المخلص منها، وهو من دحرج الحجر عن باب القبر وأعلن القيامة لمريم المجدلية ومريم الأخرى (متى ٢٨).

+ روفائيل: ويعني اسمه " داوء الله " أو " شفاء الله " أو " الله الشافي ". يرد ذكره في سفر طوبيا (الإصحاح ٣) وقد أرسله الله لكي يرافق ابن طوبيا في أسفاره ويساعده في فضله حاجاته، ولكي يداوي طوبيا ويشفيه من مرض أصاب عينيه، ولكي ينفذ سارة ابنة رعوئيل من الشيطان لتتزوج طوبيا. تصوّر التراث روفائيل يقود بيمينه طوبيا الحامل سمكة التقطها من نهر دجلة، وفي يساره إناء طبي.

+ أورثيال: ويعني " نار " أو " نور الله ". يرد ذكره في أحد الكتب المنحولة (عزرا الثاني ٤: ٥ و ٢٠) في العهد القديم. يصورُ ركباً على فرسٍ، ممسكاً بيمينه سيفاً وبيسراه حديدة وشم حمّاة.

+ صلائتيال: ويعني " مَنْ يَصَلِّي الى الله " يرد ذكره في كتاب عزرا الثاني (١٦: ٥). يصورُ في وضع صلاة: ينظر الى الأرض ويدها ملتصقتان.
+ جاغديال: ويعني " مَنْ يمجّد الله ". يصورُ حاملاً إكليلاً مذهباً وسوطاً من ثلاثة سيور.

+ برخيال: ويعني " بركة الله " يصورُ واضعاً وردة بيضاء على صدره.
+ ارميال: ويعني " سمو الله ". يكرّم من حيث انه ملهمٌ وموقظٌ للأفكار السامية التي ترقى بالإنسان الى الله.

يبقى أن نذكر أن التعييد لرؤساء الملائكة في الثامن من تشرين الثاني يعود الى القرن الرابع على من بابا روميه سلفستروس، والبطريرك الإسكندري الكسندروس. فبشفاعتهم اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ في الملائكة

خلق الملائكة وطبيعتهم: هو الله نفسه صانع الملائكة وبارنهم ومخرجهم من العدم الى الوجود. وقد خلقهم على صورته الخاصة، طبيعة لا جسمية، على مثال ريحٍ ما ونارٍ لا مادية، كما يقول داود الإلهي: " الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار " (مز ١٠٣: ٤). وقد صمّم الله فيهم الخفة والتوقد والحرارة وسرعة النفوذ والحدة في تلبية أوامره وخدمته والتسامي بنواتهم ونفورهم من كل فكر مادي.

الملاك لا جسم له: إنّ الملاك جوهرٌ عقلائي، دائم الحركة، مطلق الحرية، لا جسم له، يخدم الله ويتمتع في طبيعته بنعمة الخلود. أمّا نوع جوهره وتحديده فلا يعرفهما إلا الخالق وحده. ويُقال فيه بأنه لا جسمي ولا مادي، ذلك بالنسبة إلينا، لأنّ كلّ شيء بالمقابلة مع الله- الذي هو وحده ليس من يضاويه- يبدو كثيفاً ومادياً. وبالحقيقة إنّ اللاهوت وحده منزّه عن المادة والجسم.

يتمتع الملاك بحرية الرأي: وعليه إنّ طبيعة الملاك ناطقة وعاقلة وحرّة، متقلّبة الرأي، أي متحوّلة الإرادة، فإنّ كل مخلوق متحوّل، وغير المخلوق وحده لا يتحوّل. وكلّ ناطق حرٌّ. فإذاً، بما أنّ طبيعته ناطقة وعاقلة فهي حرّة، وبما أنّها مخلوقة فهي متحوّلة، لها المقدرة على البقاء والتقدّم في الصلاح وعلى التحوّل الى الشرّ.

الملاك غير قابل للتوبة: إنه غير قابل للتوبة لأن لا جسد له، أما الإنسان فبسبب ضعف جسده يحظى بالتوبة.

والملاك خالد، ليس بالطبيعة، بل بالنعمة: وهو خالد، لا بالطبيعة بل بالنعمة. لأن كل من ابتداء، فموجب طبيعته ينتهي أيضاً. أما الله وحده، وقد كان دائماً، فهو بالأحرى فوق الديمومة، لأن خالق الأزمان ليس هو تحت الزمن بل فوق الزمن.

الملائكة نيرات ثانية: إنها النيرات العقلية الثانية تستمد إنارتها من النور الأول الذي لا بدء له. وهي ليست بحاجة الى لسان وسمع، كلنها تتبادل الأفكار والآراء بدون نطق خارجي. وعليه إن الملائكة قد خلّقا جميعاً بالكلمة وتكلموا بالروح القدس. فصلوا على الإنارة والنعمة طبقاً لكرامتهم ورتبتهم.

الملائكة محدودون: إنهم لمحدودون، فهو عندما يكونون في السماء لا يكونون على الأرض وإذا أرسلهم الله الى الأرض لا يبقون في السماء. لكن الأسوار والأبواب والأقفال والأختام لا تحول دون وجودهم، لأنهم لا يحصرون كما هم للمستحقين الذين يريد الله أن يظهر لهم، بل يتخذون صورة يستطيع معها الناظرون إليهم أن يروههم. أما ذاك غير المحدود طبعاً وحقيقته فهو الاحد الذي لم يخلق، لأن كل خليفة إنما يحددها الله الخالق نفسه.

إنهم ينالون التقديس من الروح القدس من خارج جوهرهم، ويتبأون بموارزة النعمة الإلهية، ولا يتزوجون لأنهم لا يموتون.

مكان الملائكة: ولأنهم عقول، فهم في أمكنه عقلانية أيضاً، غير محصورين حصراً جسمانياً. ومن اقتضاء طبيعتهم أن لا يكون لهم شكل جسماني ولا أن يمتدوا في الأنحاء الثلاث، بل أن يحضروا حضوراً عقلياً ويعملوا حينما يؤمرون دون أن يستطيعوا في آن واحد أن يكونوا ويعملوا هنا وهناك.

لا يتضح أنهم متساوون في الجوهر: ولسنا نعلم هل هم متساوون في الجوهر أم هم مختلفون بعضهم عن بعض. إن الله وحده الذي صنعهم يعلم هذا، لأنه يعرف كل شيء. وهم يختلف بعضهم عن بعض بالإنارة وبالمقام، لحصولهم على المقام نظراً للإنارة، أو على الإنارة نظراً للمقام. وهم ينيرون بعضهم بعضاً لسمو رتبتهم أو طبيعتهم، لأنه واضح أن المتفوقين منهم يُشركون من هم دونهم بالضياء والمعرفة.

يتولى الملائكة الشؤون البشرية: هم أقوىاء ومستعدون لتلبية مشيئة الله. ولسرعة طبيعتهم يوجدون فوراً حينما تدعوهم إشارة منه تعالى. وهم يحافظون على قطاعات الأرض ويعتنون بالشعوب والمواضع على حسب ما رتبهم الخالق ويسوسون شؤوننا ويُغيثوننا. وهم يقيمون بكليتهم في حضرة الله لأجلنا تلبيةً لمشيئة الله وأمره.

يصعب تحركهم نحو الشرّ: إنه لصعب تحركهم نحو الشرّ، وليسوا بغير متحركين إليه إطلاقاً. وهم لا يتحركون إليه الآن، لا من طبيعتهم، بل بالنعمة وبثباتهم في الخير الوحيد. طعام الملائكة: هم يرون الله على قدر استطاعتهم، وبهذا يقوم طعامهم. إنهم يتفوقون علينا بصفتهن خالين من الجسد ومن كل انفعال جسمانيّ. ولكنهم ليسوا بدون انفعال البتّة، لأن الإله وحده لا يفعل.

ظهورات الملائكة: وإنهم يغيّرون شكلهم تلبيةً لما يأمرهم به الله سيّدُهم، وعلى هذا النحو يتراءون للبشر ويكشفون لهم الأسرار الإلهية. هم يعيشون في السماء وعملهم الواحد تسبيح الله وخدمة مشيئته الإلهية.

رتب الملائكة: على نحو ما جاء في أقوال ديونيسيوس الأريوباجي المتفوق في القداسة والطهارة وعلم اللاهوت، إن علم اللاهوت - أو بالحريّ الكتاب المقدس - يذكر تسعة جواهر سماوية، ويحصرها صاحب الكهنوت الإلهيّ هذا في ثلاث ثلاثيات من الرتب، ويقول: أن الثلاثي الأول موجودٌ دوماً حول الله مستسلماً للاتحاد به تعالى عن قرب وبدون وسيط وهم جماعة السيرافيم المسدسي الأجنحة والكيروبيم الكثيريّ العين والعروش الفائقية القداسة، والثلاثي الثاني هم جماعة الأرباب والقوّات والسلطات، والثلاثي الثالث هم الرئاسة ورؤساء الملائكة والملائكة.

متى خلق الله الملائكة: يقول بعضهم إن الملائكة وجدوا قبل الخليقة كلها، على نحو ما قال غريغوريوس اللاهوتي: " لقد فكّر الله بالقوّات الملائكية والسماوية. وكان تفكيره عملاً". ويقول آخرون إنه تعالى قد خلق الملائكة بعد أن كانت السماء الأولى. وينفق الجميع على أن ذلك كان قبل جبل الإنسان. أمّا أنا فاقف الى جانب اللاهوتي، لأنه كان يليق أن يُخلق الجوهر العقلائي أولاً، ثم الحسيّ وأخيراً الإنسان نفسه، من كلاً الجوهرين.

لم يكن الملائكة قط خالقين: أمّا أولئك الذين يقولون بأنّ الملائكة صنعوا جوهرًا ما فإنما هم فمّ الشيطان أبيهم، لأن الملائكة خلائق وليسوا خالقين. وما صانع الكلّ والمعنتي به وحافظه إلا الله وحده الذي لم يخلقه أحدٌ وهو المسجود له والممجد في الآب والابن والروح القدس.

+ تأمل

المجد للرب ولرحمته، فلقد أحببنا كثيراً ومنحنا الروح القدس الذي يعلمنا كل برّ ويمنحنا القوة والقدرة للغلبة على الخطيئة. وفي عظيم رحمته يرسل السيّد نعمته. علينا نحن أن نحافظ عليها بشدّة حتى لا نفقدها، لأن الإنسان، إذا حُرِم من النعمة، يصبح أعمى روحياً. والأعمى هو من يخزّن ثروات هذا العالم، هذا يدل على ان نفسه لا تعرف الروح القدس ولا

تدرك كم هو عذب، لكنها لن تسمح للدنيويات بأن تغريها وتجربها إليها. إن الذي خبر عذوبة الروح القدس يعرف بأنه يتخطى كل الأشياء. بلا حدود، ولا يمكن لأي شيء على الأرض أن يشده إليه، حب المسيح وحده يأسره. وهو يسكن بسلام في الله ويذوق معه الفرح والتهلل، يبكي البشر وآلامهم لأنهم لم يعرفوا السيد كلهم بعد وهو يشفق عليهم.

عندما تسكن النفس في الروح القدس تنغمر بالفرح وتمتلئ به، ولن يكون فيها الحنين الى السماء لأن ملكوت السموات في داخلنا: والسيد تجسد وثبت مسكنه فينا.

قبل أن تمسنا النعمة، يحيا الإنسان وكأن كل شيء جيد ومرتب في داخله، لكن، عندما تزوره النعمة وتسكن معه، يكتشف ويعرف نفسه على وجه آخر، أما بعد أن تتركه النعمة إثر ذلك، يدرك أن العيش بدون النعمة شقاء عظيم.

ذهب ابن الملك بعيداً الى الصيد، وفي الغابات الكثيفة ضل طريقه ولم يعد باستطاعته العودة الى قصره، فانتحب وذرف دمعاً غزيراً باحثاً عن الطريق ولكنه لم يجده. وفي الغابة المتوحشة اشتاق الرجوع الى الده الملك، وأمه الملكة، الى إخوته وأخواته. كيف يمكن ان يعيش، وهو ابن الملك، في غابة نائية غضة، كثيفة الأشجار، وحده ضائعاً؟ ناح وأرسل زفراته منذراً حياته في قصر أبيه، وتندم بمرارة لأنه أضاع أمه.

هكذا، وبأكثر من هذا، تتعذب النفس وتتوح عندما تفقد النعمة.

... لكن الذي لا يعرف النعمة لا يبحث عنها. وهكذا يبقى الناس ملتصقين بالأرض، بالدنيوات، وينسون أن لا شيء على هذه الأرض بإمكانه الحلول مكان عذوبة الروح القدس.

... لماذا تتوحيين يا نفسي وتسكبين الدموع؟ هل نسيت ما صنعه السيد لأجلك، أنت

المستحقة لكل تعبير؟

فأجابتنني: لا لم أنسَ عظيم الحنان الذي أغدقه عليّ، وإني أتذكر عذوبة الروح القدس، وأعرف حب السيد، وكم هو عذب للنفس وللجسد.

لماذا تبكين إذاً يا نفس إذا كنت تعرفين سيدك وصلاحه الذي لا يقدر لك؟ فماذا تطلبين بعد، إذاً، من سيدك الذي أظهر لك حناناً هذا مقداره؟

نفسى تتوق أن لا تفقد نعمة الروح القدس قطعياً لأن عذوبتها تشد نفسي بدون هوادة

لكي تحب خالقها.

إن السيد ينزع من النفس نعمته وبهذا يهدب بحكمته وبطيبته النفس التي لأجلها بسط يديه على الصليب بآلام عظيمة، حتى تتعلم التواضع. وفي الحرب ضد أعدائنا يسمح أن

تظهر حرية اختيارها، أما النفس بمفردها فليس لها أية قوة للغلبة. لأجل هذا نفسي حزينة وهي تتوق الى السيد وتبحث عنه بعبرات.

يا سيد وأنا محروم من نعمتك أنت تعرف وترى كم تكون نفسي عاقراً ولا تلقى راحتها في أي مكان. آه، أنت، أنت، أنت، أنت، أنت، فأمنحنا القدرة لكي نحبك، امنحنا أن نرهبك كما يحبك الشيروبيم مرتجفين.

أنت يا نورنا، أضىء نفوسنا حتى نحبك بلا توقف. أنت تسحب نعمتك مني لأ نفسي لا تسكن دوماً في التواضع، لكنك ترى كم أشقى بسبب ذلك، فأسألك: " إمنحني الروح القدس المتواضع".

القديس سلوان الأثوسي